أرسطو أبونا جميعاً!

أدرك أرسطو فعلاً سنّ الرشد. وقف عمره في هيكل الفلسفة بمعناها الواسع والدقيق معاً فأخلص للحقيقة أيّما إخلاص. أجل، ليس فيلسوفنا كاتباً واضح الأسلوب، والمرء لا يتخيّل لحظة أن تنتهي سهرة حميمة بتلاوة إحدى فقرات من كتبه، فأقواله لا تتلألأ في حفلات العشاء بالمدينة.

ولكن، هل في وسعنا تجاهله؟ نحن، من حيث ندري أو لا ندري نتوسّل ذات يوم نهاجاً أرسطياً ولو بدرجات، فندرج مثلاً كل شيء في إطار فئة ما أو نوع أو مادة.. مفاهيمه هي بمثابة أسس للمذاهب الفلسفية على غزارة مآربها ووفرة شُعبها، له الأسبقية في عدد وافر من أوضاعها وتعابيرها ومصطلحاتها، وفي التفوق في وضع شطر وافٍ من عناصر بنائها ومقوماتٍ صرحها ومبادئ نشوئها ونموّها وازدهارها. لا تزال هذه المفاهيم تلقي أضواء كاشفة على حقيقة الكائن البشري والعالم. وأرسطو يُعمل فكرنا في مخاطر الشعوبية أو الشعبوية وتطوّر الأخلاق في زمن ما بعد الأنَسيّة أو بكل بساطة، في موقع الإنسان في مجتمع مأزوم. انه ذو جدوى في كل أمر نتناوله لأنه أولى كل شيء اهتمامه وأدرك تقريباً كل شيء قبل الميلاد بأربعة قرون. لذا، انه يستحق حتى الساعة شيئاً من الاهتمام.

تحدّر معلّم الاسكندر الكبير من أسرة نبيلة وخالط عليّة القوم في زمانه وأقام في قصور الملوك والعظماء، والى على نفسه أن لا يحمّل أهل أثينا إثماً آخر يجترحونه بحق الفلسفة والفلاسفة. وسيظل يدهش نوابغ البشرية على مدى العصور بعمق تفكيره وبُعد نظره وقوة برهانه واتساع معارفه ومتانة نظرياته الخالدة. والفكر في الغرب والشرق لا يستقيم إلاّ بتقويمه ولا يعرف شيئاً من الاستقرار والثبات في دنيا الفلسفة وما إليها إلاّ برجاحة رأيه وسداد تعليمه يهتدي بهديه ويستضيء بنوره. وهل الفلسفة سوى نزعة سامية تبدأ بالاندهاش وتنتهي بعكسه ثم تمضي إلى اندهاش آخر وهكذا؟

د. جهاد نعمان
أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه